ملف العدد
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

سكان الجولان
رحلة نصف قرن من التهجير والنزوح إلى اللجوء

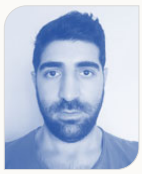

محمد هاني الأغبر
باحث ماجستير في التاريخ الحديث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الجامعة اللبنانية – الجمهورية اللبنانية

د. حبيب البدوي
أستاذ مشارك التاريخ الحديث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الجامعة اللبنانية – الجمهورية اللبنانية

مُلَخّص

منذ أربعة وخمسون عامًا وقعت هضبة الجولان تحت الاحتلال الإسرائيلي، هذه الهضبة الاستراتيجية التي ضمت للأراضي السورية عند تحديد الحدود الدولية عام ١٩٢٣، وبعد إعلان قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة عام ١٩٤٨، تحول موقع المرتفعات الاستراتيجي هاجسًا يؤرق الأمن القومي للكيان الدخيل. مع تثبيت الحدود النظرية وفقًا لاتفاقيات وقف إطلاق النار، بقيت التلال والمزارع الجولانية عرضة لمناوشات مسلحة بين حرس المستوطنات الحدودية والمقاومين العرب لحوالي العشرين عامًا، حتى حلت نكسة العام ١٩٦٧، حيث في ستة أيام فقط، احتلت إسرائيل كل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والقدس القديمة ومرتفعات الجولان. من هنا بدأت مأساة أهل الجولان، من التهجير القصري إلى النزوح الداخلي، والتي تضاعفت بعد الأزمة السورية عام ٢٠١١، حيث بدأت محاولات اللجوء إلى الدول الأخرى. لذا ستتناول هذه الدراسة المحاور التالية: (جغرافيا وديمغرافيا هضبة الجولان، تاريخ الجولان الحديث، النزوح القسري لأهل الجولان بعد هزيمة ١٩٦٧، محاولات الحل السلمي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لنازحي الجولان، تأثير الأزمة السورية على نازحي الجولان، من نازحين في الوطن إلى لاجئين في المعمورة). أما المنهج المتبع في هذه الدراسة، فهو المنهج التاريخي السردي، بعد التحقق من صحة الأحداث والروايات التاريخية، واعتماد السرد مع النقد والتسلسل التاريخي اللازمين لوحدة الدراسة وترابطها، ومن البديهي أن يكون للمنهج الجغرافي حصة فيه لأن الموقع الجغرافي للجولان هو الذي رسم تاريخها ومأساة سكانها.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٥ يوليو ٢٠٢٢
تاريخ قبـول النشـر: ١١ أغسطس ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

سكان الجولان؛ الأزمة السورية؛ الشرق الأوسط؛ سوريا؛ تهجير؛ نزوح.

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2022.299662

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حبيب البدوي، محمد هاني الأغبر، "سكان الجولان: رحلة نصف قرن من التهجير والنزوح إلى اللجوء"- دورية كان التاريخية- السنة الخامسة عشرة- العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر ٢٠٢٢. ص ١٧٦ – ١٩٣.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: habib.badawi@ul.edu.lb
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

سكان الجولان.. لجوء ونزوح مستمران منذ أكثر من نصف قرن

خلفت حرب الستة أيام عام 1967 موجات نزوح كبيرة للمدنيين بعد طرد الجيش الاحتلال الإسرائيلي لسكان قرى وبلدات الجولان الأصليين(Aloudat, 2021)، مما نتج عنه هذه نزوح ما يقارب من مئة وثلاثين الى مئة وخمسين (موقع وزارة الخارجية والمغتربين- الجمهورية العربية السورية) من سكان الجولان إلى دمشق وريفها، حيث تم استقبال المُهجرين في مدينة دمشق وريفها وبعض القرى ومدن درعا وريفها.

عند وصول المهجرين الى العاصمة دمشق، تم حصرهم بداية في مخيمات اللجوء الفلسطينية، والتي تمت إقامتها بعد نكبة ١٩٤٨، وعندما فاض العدد في تلك المخيمات المنكوبة بطريقة مأساوية، تم إرسال عائلات من المهجرين الجدد إلى المدارس والمرافق العامة في سائر أنحاء سوريا، حيث جهُزت من قبل الحكومة كحل مؤقت لاستيعاب موجات النازحين المتزايدة، وذلك لحين إيجاد حلّ للأزمة التي خلفها احتلال الجولان، كما ادعت الإذاعات الرسمية العربية، إن في دمشق أو سائر العواصم.

عام ١٩٧٣ تمت "حرب التحريك"، والتي أفسد بدايتها الصاعقة العثرات التكتيكية على الجبهات العسكرية العربية، فتم تطويق الجيش الثالث الميداني المصري بعد ثغرة الدفرسوار، بينما تمكن المدد المدرع العراقي من الحد من توسع ثغرة سعسع على الجبهة السورية. بدأ حلم المهجرين البؤساء في أماكن الإيواء بالعودة يتضاءل، بخاصة بعد مهادنات العام ١٩٧٤، وأبرزها توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين سوريا وإسرائيل، والتي تركت جلّ أجزاء هذه الهضبة تحت السيطرة الإسرائيلية، بينما التزم الطرف السوري، من جهته، بإجراءات صعبّت احتمالية الاقتراب من خطوط التماس الجديدة.

في العام ١٩٨١ تم تمرير قانون من قبل الكنيست لتطبيق قوانين الدولة الإسرائيلية على أراضي الجولان (Golan Heights Law, n.d.). وتجدر الإشارة إلى أن آخر تلك القوانين الظالمة صدر خلال الأزمة السورية العام ٢٠١٧، وذلك حين أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب اعترافها بسيادة إسرائيل على الجولان("Golan Heights," 2019)، فسارعت تل أبيب عبر الكنيست لشرعنة هذا التطفل العنجهي الأميركي. بعدها لحوالي النصف قرن بقي وضع نازحي الجولان على حاله الميؤوس دون حلّ يضمن لهذه المجموعة السكانية عيشًا يوميًا كريمًا، والأهم تعويض ما خسروه من ممتلكات غنية وأراضي خصبة. بل على العكس، مع مرور السنوات زاد التهميش الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، مع وسم يفتقر للوطنية بوصفهم "نازحين"، وكأن هذا الفعل كان باختيارهم، لا بجبر قوات الاحتلال.

وتتفاقم مأساة الجولانيين مع اندلاع الاحتجاجات في سوريا عام ٢٠١١، ومع اختبار النظام للحل العسكري والأمني كرد على المطالبات الشعبية، تحولت المخيمات والقرى والأحياء الثكلى بالنازحين إلى مناطق صراع مسلح عنيف، أجبر معظم السكان على الهروب، ليتجدد النزوح القسري، وهذه المرة إلى الداخل السوري، بمعنى الانتقال الجماعي الى مناطق أكثر أمنًا داخل سوريا نفسها، ومع مرور السنوات بدء طرح معادلة "اللجوء" الى بلدان الجوار، لتستمر التغريبة الجولانية داخل الوطن المكلوم وخارجه.

مع تجاوز الأزمة السورية عامها العاشر، طرحت إشكالية "اللجوء السوري" على الصعيد العالمي، لتتحول إلى مأساة أممية، أما معاناة سكان الجولان فأصبحت مضاعفة، فهم اجبرو على النزوح الداخلي واللجوء الخارجي، مرتين، فسكنهم ومنازلهم ومناطقهم التي استقروا بها لحوالي نصف قرن، وأصبحت جزءً من كيانهم، أجبروا على التهجير منها، وبعد أن كانوا يعتقدون أنهم سيبقون بها لفترة وجيزة لحين عودتهم الى قراهم وبلداتهم في الجولان، أصبحت هي موطنهم المسلوب الجديد.

تبقى معاناة سكان الجولان مقارنة بباقي فئات الشعب السوري، أعمق وأكثر إيلامًا، وذلك نظرًا للظروف التي شهدوها وعاشوها في وطنهم الأم لما يقارب الثلاثة والأربعين عامًا التي سبقت بدء الأزمة السورية.

كانت هذه الأوضاع الاجتماعية الصعبة والتهميش المتعمد الذي عاشه سكان الجولان هي العامل الرئيسي بمشاركة مناطقهم بشكل واسع في الموجة الأولى من الاحتجاجات السلمية عام 2011، وسرعان ما لبثت هذه الاحتجاجات البيضاء أن تحولت (مثلها مثل سائر المناطق السورية الأخرى) إلى بؤر مواجهات مسلحة بين القوات الموالية للحكومة السورية، ومن يدعمها من الإيرانيين واتباعهم اللبنانيين والعرب والأفغان، ضد فصائل المعارضة، المتناحرة فيما بينها. وبالتالي خلفت هذه المواجهات العسكرية دمارًا هائلًا أباد فعليًا، وليس نظريًا، موطن سكن أهل الجولان المؤقت كما كانوا يوعدون، لتهيم عائلاتهم بحثًا عن مأوى جديد، وأصبح الفقد مزدوج، فمع غياب أي حلّ يسمح بإعادة إعمار المناطق التي دُمرت في دمشق وريفها، يتسلل الشعور باليأس وعدم اليقين من عودة قريبة

إلى الديار، وللمصادفة المؤلمة، هذه الظروف تتشابه بشكل كبير، أو تكاد أن تكون مطابقة، للظروف التي عاشها أهل الجولان بعد تهجيرهم من ديارهم الأصلية عام 1967.

أولاً: هضبة الجولان (جغرافيًا وديمغرافيًا)

يقع الجولان في أقصى جنوب غرب سورية على امتداد حدودها مع فلسطين المحتلة. وتقدر مساحته الإجمالية بـ ١٨٦٠ كم٢، وتأخذ شكلا متطاولا من الشمال إلى الجنوب على مسافة حوالي ٧٥ كم بعرض متوسط يتراوح بين ١٨-٢٧ كم. تقع كتلة جبل الشيخ في شمال الجولان وتفصله عن البقاع الجنوبي في لبنان. ويفصل وادي اليرموك في الجنوب بين الجولان ومرتفعات عجلون والأردن الشمالية الغربية. أما في الغرب فإن الجولان يطل على سهل الحولة وبحيرة طبريا. في حين يقع وادي الرقاد في الشرق بين الجولان ومنطقة حوران. وإذا ألقينا نظرة عامة على سطح الجولان نجد تفاوتًا في الارتفاعات، حيث تصل إلى ٢٥٠٠ م في شمال الجولان والى ١٥ م في جنوبه، فقمة جبل الشيخ المطلة على الجولان تصل ارتفاعاتها إلى ٢٨١٤م في قصر شبيب ثم تنخفض إلى ١٢٠٠ م في مجدل شمس ثم إلى ما دون سطح البحر في منطقة البطيحة حيث تصل إلى ٢٠٠ م تحت سطح البحر، والى ١٢٥ م في الحمة جنوبي الجولان. وهكذا نلاحظ انخفاضًا تدريجيًا في سطح الجولان من الشمال باتجاه الجنوب.

للجولان خصوصية جيولوجية حيث الصخور المنتشرة على أرضه هي صخور بازلتية ناتجة عن انفجارات بركانية. إن تاريخ الجولان الجيولوجي يرجع إلى الفترة "الكارتيكونية" (قبل ٦٥-١٣٥ مليون عام)، حيث غطت أرضه صخور كلسية تظهر في منطقة جبل الشيخ، ثم الفترة الـ "آوكنية" (قبل ٤٤-٥٠ مليون عام)، حين غمر البحر أجزاءَ من المنطقة فتشكلت صخور كلسية، ثم انحسرت المياه إلى الغرب لتعود ثانية في فترة الـ "الأوكن المتأخرة" (قبل ٣٥ مليون عام) قادمة هذه المرة من الشرق ناحية الخليج العربي، إذ تظهر في طبقات الأرض التي تعود لتلك الفترة أصداف وبقايا كائنات بحرية.

وفي فترة الـ "ميوكن" (قبل ٢٥ مليون عام) انحسرت المياه مرة أخرى، وتشكلت طبقتان من التراب: طبقة صفراء مفتتة تنتشر جنوب الجولان وطبقة يصل سمكها إلى ٢٥٠م، تختلف تركيبتها من منطقة إلى أخرى. قبل ٥ مليون عام تشكل لسانًا بحريًا امتد من منطقة حيفا ليغمر قسمًا من الجولان. فتشكلت بحيرات وأنهر ذات مياه غير مالحة.

١/١-المجموعات الأثنية والعرقية في الجولان

تعتبر هضبة الجولان من المناطق المتنوعة عرقيًا وطائفيًا، فقد كانت منطقة جذب للقبائل الرحالة على مدار التاريخ، ومن أهم مكوناتها السكانية:

(١/١) ١-القبائل والعشائر العربية

استقرت القبائل العربية في الجولان منذ فترات تاريخية بعيدة بسبب وفرة المياه والمراعي فيه. استمرت هذه العشائر في ترحالها على المرور الموسمي مع اتباع نفس نمط العيش الرعوي والعمل التقليدي حتى بداية القرن الماضي، حيث شهد الجولان في بداية القرن العشرين مرحلة استقرار وإعمار، حيث استقرت فيه بعض العشائر العربية وبدأت تعمل في الزراعة والفلاحة، وبعض الأعمال التقليدية.

غالبية الجولانيين العرب ينتمون الى كل من عشيرة آل الفضل وعشيرة النعيم، الذين استقروا في الجولان لعقود زمنية طويلة قبل النكسة، وبعد هزيمة ١٩٦٧ تم تهجيرهم، فنزح معظمهم باتجاه مدينة دمشق وريفها. لا ينحصر مناطق هاتين العشيرتين في الجولان فقط، فعشيرة النعيم فمضاربها متواجدة في عدة مناطق في سوريا، وكذلك في الأردن ولبنان وفلسطين، كذلك عشيرة الفضل ذات الامتداد المحلي، وفروعها "أفخاذها" على كافة الأراضي السورية.

استقر لاحقًا قسم من النازحين العرب في قرية جديدة الفضل الملاصقة لقرية جديدة عرطوز عند المدخل الغربي لمدينة دمشق. كما استقر جزء كبير منهم في حي الحجر الأسود في جنوب دمشق. كما لهم مخيّم لجوء كبير عند مدخل مدينة دوما الشرقي، في ريف دمشق، وسمي لاحقًا "بمخيم الوافدين"، حيث استقبل نحو ٣٠ ألف من العائلات النازحة. حين بدأت أحداث العنف في سوريا، اندلعت الاشتباكات المسلحة العنيفة في المناطق التي استقر فيها النازحين العرب الجولانيين، كحي الحجر الاسود وحجيرة وجديدة الفضل، مما اضطر الكثير من الأهالي والعائلات للنزوح إلى مناطق أكثر أمنًا في الداخل السوري، وكذلك اللجوء إلى دول الجوار ومحاولة الهجرة الأوروبية.

(1/1) ٢-الشركس

لقد شهد الجولان وتحديدًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر توافد اللاجئين الشركس الهاربين من الحروب العثمانية -الروسية في منطقة القوقاز. كانت أولى موجات اللجوء في العام ١٨٦٤ واستمرت حتى عام ١٨٧٨، حيث وصل الهاربون من البطش الروسي إلى عدة مدن وقرى في بلاد

الشام. يقدر عدد الشركس في سوريا بنحو ١٠٠٠٠٠ نسمة استقروا في العديد من المحافظات السورية (The Circassians of Syria, n.d.)، وكانت نسبة تركزهم الأكبر في محافظة القنيطرة. (Collelo & Library Of Congress. Federal Research Division, 1988)

اعتبرت مدينة القنيطرة حتى العام ١٩٦٧ عاصمة الشركس في سوريا، لكن بعد حرب الأيام الستة ١٩٦٧ وحرب تشرين ١٩٧٣، نزحت مجموعات كبيرة من شركس الجولان الى مناطق دمشق وريفها واستقرت في قرى قدسيا وضاحية قدسيا ودمر وقرية مرج السلطان في الغوطة الشرقية. وتجدر الإشارة، أنه خلال فترات الهدوء والهدنات، وخلال استقرار الأوضاع في منطقة القنيطرة بالذات، عادت مجموعات من الشركس الى قرى بريقه وبير عجم في محافظة القنيطرة. هؤلاء الشركس الذين ينتمون الى قبائل الأديغية، سكنوا الجولان إلى جانب القبائل العربية والعشائر البدوية، لكن الاختلاف عن جيرانهم من ناحية العادات والتقاليد والزي (Schumacher, 2010, p. 57,58,59)__جعلهم منغلقين اجتماعيًا، يتقوقعون داخل مجتمعاتهم الخاصة.

(1/1) ٣-التركمان

يعتبر التركمان من الشعوب المسلمة الناطقة باللغة التركية، والتي انتقلت من وسط أسيا واستقرت في عدة مناطق في الشرق الأوسط، ومنها سوريا (Collelo & Library Of Congress. Federal Research Division, 1988). استقر التركمان في الجولان منذ ألف عام تقريبًا، ومعظمهم ينتمون لقبيلة اليورك التركية. يشير الأرشيف العثماني إلى أن التركمان بدأوا بالاستقرار في الجولان بعد عام ١٨٦٠، حيث بلغ عدد القرى التركمانية نحو ١٢ قرية (الجولان – المجلس التركماني السوري). وبما أن أفراد قبيلة اليورك التركمانية من الرحّل، فكانوا يقيمون في الصيف في الجولان، أما في فصل الشتاء فكانوا ينتقلون إلى مدينة ريف حلب (Schumacher, 2010, p. 55,56). وهناك عرف هؤلاء التركمان بلهجتهم الخاصة بهم، والتي عرفت "باللهجة الجولانية".

بعد حرب الستة أيام، وعند احتلال هضبة الجولان، قام الجيش الإسرائيلي بطرد السكان التركمان من قرى ودفعهم الى النزوح القسري. توجه معظمهم نحو العاصمة دمشق، حيث استقروا في العديد من أحياء مدينة دمشق الجنوبية الشعبية الفقيرة، كمنطقة الحجر الأسود وحي القدم وحي التضامن. بين العام ٢٠١١ والعام ٢٠١٨، وبسبب أحداث العنف والاشتباكات المسلحة بين القوات الحكومية وقوات المعارضة، اجبر تركمان الجولان على ترك منازلهم وبيوتهم التي نزحوا إليها، والهروب الى مناطق سورية أكثر أمنًا. كما يتواجد على الحدود السورية التركية مخيم "دير البلوط" (تركمان الجولان في مخيم دير البلوط يطالبون بالدخول إلى تركيا - روزنة)، والذي يضم العديد من العائلات التركمانية التي نزحت من جنوب دمشق. وبما أن تركيا تعتبر الموطن القومي للتركمان، فقد استقبلت أعداد كبيرة منهم، ويعيش معظمهم اليوم في محافظة "عثماني" ومدينة إسطنبول.

(1/1) ٤-الدروز

يعود تاريخ استقرار الدروز في الجولان الى القرن الحادي عشر الميلادي عندما فروا من اضطهاد الخليفة الفاطمي لهم في مصر. عاش الدروز لقرون عديدة في حالة انغلاق نتيجة للملاحقات التي تعرضوا لها، لكنهم ما لبثوا أن انخرطوا في الحياة السياسية الإقليمية، حيث لعب الدروز دورًا هامًا في تاريخ بلاد الشام وخصوصًا بعد بداية صدامهم مع الموارنة في جبل لبنان وخوضهم الحروب الأهلية أعوام ١٨٤١ و١٨٦٠. ساهم الدروز الذين استقروا في مدينة السويداء والجولان وفي بعض نواحي دمشق بشكل فاعل في تاريخ سوريا الحديث، خصوصًا على الصعيد السياسي، حين شارك الدروز بشكل فاعل في الثورة السورية الكبرى في عشرينيات القرن العشرين، والتي قادها سلطان باشا الأطرش[1]، أشهر الشخصيات الدرزية في تاريخ سوريا الحديث.

حافظ الدروز على تواجدهم في الجولان منذ ما قبل حرب ١٩٦٧، حيث يسكن دروز الجولان اليوم على جانبي الحدود بين إسرائيل وسوريا. ففي الجانب المحتل من الجولان، هم يقطنون في قرى مجدل شمس وعين قنية ومسعدة وبقعاثا وسحيتا ويحضر وعرنة، وبعض القرى الصغيرة الأخرى عند سفوح جبل الشيخ. قامت الإدارة العسكرية الاسرائيلية في آب ١٩٦٧ بإحصاء للسكان الدروز في الجولان. بلغ عدد سكان قرية مجدل شمس 2918 نسمة، و 1425 نسمة في بقعاثا، و 705 نسمة في مسعدة، و 578 نسمة في عين قينية، و 173 نسمة في سحيتا(Aloudat, 2021)._منذ بداية أحداث العنف في سوريا، اتخذ الدروز، بشكل عام، موقف حياديًا من كافة الأطراف

١ سلطان بن ذوقان بن مصطفى بن إسماعيل الأطرش، المعروف باسم سلطان باشا الأطرش (١٨٩١ –١٩٨٢) قائد وطني ومجاهد ثوري سوري ينتمي إلى طائفة الموحدين الدروز ويُعدُّ القائد العام للثورة السورية الكبرى التي اندلعت ضد الاستعمار الفرنسي عام ١٩٢٥.

المتصارعة. لم يخل هذا الحياد وخصوصًا في منطقة الجولان من مواجهات مع تنظيمات إسلامية متشددة، ولكن تلك هذه الاشتباكات الصغيرة لم تتعد المناوشات التي لم تجبر أحدًا من سكان قرى القنيطرة الدرزية على النزوح الى مناطق أخرى.

(1/1) ٥-العلويون

تواجد المزارعين العلويين (فلّاحو سورية, ٢٠١٤ ,p. 44) في الجولان كذلك. تكونوا هناك من أقليلة صغيرة هاجرت في القرن الثامن عشر من جبال اللاذقية نحو هضبة الجولان لتعمل في زراعة التبغ خصيصًا. وتوزعت العائلات العلوية في عدة قرى أبرزها قرى الغجر والزعرورة وعين فيت (Schumacher, 2010, pp. 59–60, 76–77). نزح العديد من سكان القرى العلوية نحو جنوب مدينة دمشق بعد احتلال الجيش الإسرائيلي لهضبة الجولان، واستقر جميع من نزحوا إلى أحياء مدينة دمشق الجنوبية، وكانت الحظوة لأبناء قرى عين فيت والزعرورة، حيث استقروا في حي التضامن.

ثانيًا: تاريخ الجولان الحديث

أن موقع الجولان يمثل بعدًا تاريخيًا للشعب اليهودي، حيث تم ذكرها في العهد القديم في سفري التثنية ويشوع[٢]. كما أن المؤرخ اليهودي الروماني يوسيفوس فلافيوس[٣] وصف منطقة الجولان في كتابه "حروب اليهود" وبعض المعارك التي دارت بها (أهمها الحرب بين الملك اليهودي إسكندر يناي الحشموني والملك العربي النبطي عبادة، وكذلك الحملة الرومانية على المتمردين اليهود في مدينة جملا).

في التاريخ الحديث، كانت هذه المنطقة جزءًا من ولاية سوريا خلال الحقبة العثمانية والتي استمرت لنحو أربعة قرون. في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قامت الدولة العثمانية بالعديد من التعديلات القانونية سعيًا منها لتحديث النظام الإداري للولايات، ضمن خطة طالت كافة أرجاء الدولة العثمانية.

انطلاقًا من محاولة التطوير، أصدرت إسطنبول في العام ١٨٦٤ قانون تشكيل الولايات، والذي أعُيد فيه النظر في تشكيل وحدات الحكم المحلية القائمة سابقًا. وقد نالت بلاد الشام نصيبًا كبيرًا من هذه التغيرات والتقسيمات الجديدة. كان التغير الأكبر إلغاء ولاية صيدا، وإعادة تقسيم "المشرق" الى ولايتين. ضمن هذه التقسيمات الإدارية الجديدة، كان الجولان من نصيب ولاية سوريا، وتم توزيعه بين لواء الشام الذي ضم قضاء وادي العجم، ولواء حوران الذي ضم قضاء القنيطرة (عبدالكريم, ١٩٠١، p. 73).

لقد صاحب هذه التغيرات الكبيرة على صعيد السلطنة العثمانية تطوير الأداء الإداري للدولة العلية على كافة الأصعدة، ومنها تحديث قوانين تملك الأراضي والذي سمي بقانون الطابو في عام ١٨٦١ (محمد ١٩٦٩، p. 233)_حيث كان المراد منه تأكيد سلطة الدولة المركزية على الأراضي والمشاعات بهدف تقليص سطوة العشائر المتنفذة والملاك الكبار. لكن سوء التنفيذ والرشاوي أدى الى نتائج عكسية للإصلاح الذي سعت إليه السلطنة. وكمحاولة جديدة (كانت أخيرة) للنهوض، أدخلت على قانون تسجيل الأراضي تعديلات العام ١٩١٣، والذي سمحت بموجبه الدولة العثمانية ضمن شروط خاصة تملك الأراضي الأميرية.

لقد أولت الدولة العثمانية لولاية سوريا، والتي كانت تضم منطقة الجولان، أهمية خاصة خلال تلك الفترة، بخاصة بعد ما شهدته المنطقة العربية من ثورات قبائلية وصراعات أهلية، كما زاد تدخل الدول الغربية في المنطقة بشكل كبير بعد قيام متصرفية جبل لبنان عام ١٨٦٠. وفي خلال نفس الفترة الزمنية، ازدادت الهجرة الاستيطانية اليهودية من قارة أوروبا نحو الأراضي الفلسطينية، وكان الهدف الخبيث تملكهم للأراضي في سنجق القدس وكافة أرجاء الأراضي الفلسطينية.

---

٢ " قال الرب لموسى ارحل أنت وبني إسرائيل من صحراء مصر إلى الأرض التي وعدتها لنسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب (يقصد هنا ارض فلسطين) والتي تفيض بالعسل واللبن ... وها أنا مرسل أمامك ملاكي لتطرد الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين من أرضهم... ولن ارحل إليها معكم ... لان بني إسرائيل شعب صلب الرقبة فان اخطأ بحقي هذه المرة سأفتك به ... ولما سمع بني إسرائيل ما قاله الرب لموسى دعوا بالويل والثبور ... ارتحل بني إسرائيل من الصحراء متوجهين إلى فلسطين ولما وصلوا إلى جبل (حوريب) أمر الرب موسى نزع حُليته فنزها ثم أمر بني إسرائيل بنزع حليهم خوفا من تكرار حادثة العجل مرة أخرى .... وعند الجبل نصب موسى خيمة الاجتماع بعيدا عن مساكن بني إسرائيل وقال لهم كل من طلب الرب فليتوجه إليها ... فكلما خرج موسى من خيمته متوجها إلى خيمة الاجتماع وقف بنو إسرائيل على أبواب خيامهم ينظرون إلى (ملاك الرب) عامود السحاب كيف يرافقه إليها فإذا دخلها ليتكلم مع الرب وجها لوجه توقف العامود ساكنا أمامها أما بني إسرائيل سجدوا له كل من أمام خيمته".

٣يوسف بن ماتيتياهو (יוסף בן מתתיהו) (100-38 للميلاد) كان أديبا مؤرخا وعسكريا يهوديا عاش في القرن الأول للميلاد واشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهوذا، والتمرد اليهودي على الإمبراطورية الرومانية والتي تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في فلسطين خلال القرن الأول للميلاد في حين انهيار مملكة يهوذا، ظهور الديانة المسيحية والتغييرات الكبيرة في اليهودية بعد فشل التمرد على الرومان ودمار هيكل هيرودس.

كان الجولان ضمن المخططات اليهود للشراء في أراضيه والتملك به لما يملكه من أهمية دينية. ورغم الامتيازات التي أعطيت للأجانب داخل أراضي السلطنة العثمانية إلا أنها لم يسمح لهم بتملك الأراضي والعقارات إلا بعد صدور قانون عام ١٨٦٩، والذي سمح للأجانب بالتملك في أراضي الدولة العثمانية (تملك الأجانب للعقارات في الدولة العثمانية, ٢٠٢٠)، وهو جاء نتيجة للضغوط الأوربية الساعية الى دعم مشروع إقامة دولة لليهود في المشرق، وتراجي قادة السلطنة بسبب ازدياد ديون الخزانة العثمانية. كما شهدت تلك الفترة موجات تهجير ولجوء ونزوح داخل أراضي الدولة العثمانية نفسها، خصوصًا بعد سقوط منطقة شركيسيا عام ١٨٦٤ على يد القوات القيصرية الروسية، والتي نتج عنها موجة لجوء الشركس الى بلاد الشام هربًا من البطش الروسي. ونتيجة للحروب العثمانية الروسية استمرت موجات النزوح من بلاد القوقاز بأكملها حتى ربيع عام ١٨٧٨.

لتخفيف مأساة رعاياها خصصت الدولة العثمانية بعض من الأراضي في منطقة جرش والجولان لاستقبال اللاجئين الشركس الذين وصلوا أولًا الى عكا، وبعدها انتقلوا وتوزعوا على اثنتي عشرة قرية رئيسية في قضاء القنيطرة، والذي يتكون من ثلاث نواحي و٧٧ قرية و٢٧ مزرعة، إضافة الى تمركزهم في مركز القضاء. شهد الجولان في تلك الفترة أول عملية مسح جغرافي وديمغرافي، ووضُعت له خريطة مفصلة على يدّ المهندس الأميركي من أصل ألماني "غوتليب شوماخر"[٤]، والذي عينته الدولة العثمانية بغية القيام بمسح مناطق حوران والجولان وعجلون تجهيزًا لبناء سكة حديد دمشق-حيفا. لذا شهدت تلك الفترة تطورًا وإعمارًا أدى الى استقرار أعداد أكبر من سكان القبائل العربية المحلية، وكذلك المهجرين من قبائل التركمان، والذين باتوا يعرفون "بتركمان الجولان".

أصبحت المناطق التي يقطنها الشركس المهجرون عامرة بنشاطهم، وتميزت حسبما وصفها شوماخر في كتابه "الجولان" عن غيرها من القرى بنظافتها، ووسع حجمها، وأبنيتها الحجرية. هذا أدى إلى إقبال التجار عليها، لكونها تتوسط الطريق بين دمشق، والتي لا تبعد عنها سوى ٦٧ كم، وأراضي الجليل الأعلى، ومدن حيفا، ويافا، وعكا. مع نهاية القرن التاسع شهد الجولان أول عملية صهيونية لشراء أراضي في العام ١٨٩٤، حين قام المصرفي الفرنسي-اليهودي إديمود دي روتشيلد[٥] بشراء قطعة أرض كبيرة في الجولان تمهيدًا لمنحها للمستوطنين اليهود (Baron Edmond de Rothschild | French Banker, n.d.)، وكان سبقها عدة محاولات أجهضت لشراء أراضي في الجولان الأوسط وعلى ضفة بحيرة طبريا.

ففي العام ١٨٨٤ قامت مجموعة من يهود مدينة صفد بمحاولة لشراء ١٥،٠٠٠ دنم في منطقة الرمثانية، لكن لم تكلل محاولتهم بالنجاح. بعد تلك المحاولة بثلاث سنوات، اشترت مجموعة من المستوطنين ٢،٠٠٠ دنم في قرية بير الشجوم غربي الجولان، ولكن تم إبطال عقد البيع. لم تكلل محاولات إقامة مستوطنات وشراء الأراضي في الجولان بالنجاح كمثيلتها من عملية شراء الأراضي في الداخل الفلسطيني، والتي تبعتها موجات الاستيطان في القدس خاصة وفلسطين بشكل عام ، وذلك مرجعه لرفض الدولة العثمانية بيع الأراضي في منطقة حوران المجاورة للجولان(Sicker, 1999, p. 60)، ربما بسبب أهميتها الزراعية.

تمت هزيمة الدولة العثمانية وحلفائها في الحرب العالمية الأولى، واضطرت لتوقيع سلسلة معاهدات مهينة. بدأت التنازلات مع هدنة مودرس في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨، والتي أنهت رسميًا العمليات القتالية ضدّ دول الحلفاء. (Armistice of Mudros | Turkish History [1918] | Britannica, n.d.) شهد الشرق استيلاء القوات العربية بقيادة الشريف حسين وقوات الحلفاء على بلاد الشام وعموم ولاية سوريا، حيث اتسمت عملية السيطرة على المدن بالسرعة والمناورة، فتقدمت القوات البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي[٦] نحو مدينة دمشق من جهة الأراضي الفلسطينية، والتي شهدت عدة معارك ومواجهات. أثناء التقهقر للجيش العثماني، والذي كان يتعرض لإغارات القبائل الثائرة واللصوص، وصلت قوة من فرقة الخيالة الاسترالية في الثامن والعشرين من أيلول لعام ١٩١٨ إلى مدينة القنيطرة التي تقع في هضبة الجولان، وتبعد عن مدينة دمشق مسافة ٦٢ كم، واكملت طريقها دون مقاومة تذكر، نحو مدينة

٤ غوتليب شوماخر غوتليب شوماخر (١٨٥٧-١٩٢٥) مهندس مدني، مهندس معماري وعالم الآثار الذي كان شخصية مهمة في الاستكشافات الأثرية في وقت مبكر من فلسطين

٥ البارون إدموند جيمس دي روتشيلد (١٨٤٥ - ١٩٣٤) أحد زعماء الفرع الفرنسي لعائلة روتشيلد المالية اليهودية الثرية. كان روتشيلد داعم قوي للصهيونية وأضفت تبرعاته السخية دعماً كبيراً للحركة خلال سنواتها الأولى، مما ساعد في إنشاء الكيان الإسرائيلي.

٦ إدموند هنري هاينمان ألنبي (١٨٦١ - ١٩٣٦) ضابط وإداري بريطاني، اشتهر بدوره في الحرب العالمية الأولى حيث قاد قوة التجريدة المصرية في الاستيلاء على فلسطين وسوريا عامي ١٩١٧ و١٩١٨.

دمشق عبر قرى سعسع والكسوة وسهل كوكب (Cutlack, 2018, p. 167)

أما من ناحية درعا فكانت القوات العربية التي يقودها الأمير فيصل بن الحسين[٧] تسيطر على المدن والقرى على طول طريق الحج. كانت القوات العربية أولى طلائع القوات التي وصلت إلى مدينة دمشق في الثلاثين من أيلول عام ١٩١٨، وذلك وسط تهليل الشعب المخدوع بوعود الحلفاء بقيام مملكة عربية موحدة، ليستيقظ الغافلون في الأول من تشرين الأول مع وصول الجنرال اللنبي الى دمشق، بتنسيق مع حليفه الفرنسي. لتبدأ عندئذ مرحلة جديدة مليئة بالتغيرات السياسية والجيوسياسية، والتي كانت بدايتها مع تعيين الأمير فيصل بن الحسين حاكمًا على سوريا، حيث شكل حكومة علي باشا الركابي[٨]، والتي تضمنت تشكيلتها العديد من الشخصيات البارزة من لبنان وسوريا والمناطق العربية الأخرى.

استمر هذا الوضع الصوري على ما هو عليه في كافة الأراضي التي كانت تعرف بولاية سوريا حتى الثامن من آذار ١٩٢٠، عندما انعقد المؤتمر السوري في دمشق بحضور ممثلين عن كافة المناطق والمدن السورية، وكان بينهم أمير قبيلة الفضل في الجولان محمد الفاعور بن العباس[٩] (أعضاء المؤتمر السوري العام ١٩١٩، ١٩٢٠) ممثلًا عن مدينة القنيطرة. صدر عن المؤتمر المناداة بالأمير فيصل بن الحسين ملكًا على سوريا، والتي ضمت لبنان وفلسطين وأجزاء من العراق بحضور العديد من قناصل الدول الأوروبية، لتصدر كل من لندن وباريس موقفهم الرسمي الرافض لإعلان المملكة السورية. وبينما العرب في أوهامهم، تم عقد مؤتمر سان ريمون ١٩٢٠، بمشاركة كل من بريطانية وفرنسا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة بصفة مراقب.

كانت نتائج المؤتمر فيما يخص منطقة سوريا والعراق عبارة عن تطبيق وترجمة لاتفاقية سايكس – بيكو، والتي قامت بموجبها كل من بريطانيا وفرنسا بتقسيم منطقة بلاد الشام وأرض الرافدين الى مناطق نفوذ تابعة لهما، فتم وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي (باللون الأزرق)، أما فلسطين وشرق الأردن (كدولة عازلة) والعراق، فتحت الوصاية البريطانية (باللون الأحمر).

في ١٤ تموز ١٩٢٠ أرسل المفوض السامي الفرنسي الجنرال غورو[١٠] إنذارًا إلى الملك فيصل للانصياع وقبول الانتداب. بعد تلقي الإنذار بعدة أيام، غادر الملك فيصل دمشق الى مدينة درعا ومنها إلى الأردن (الحكيم, ٢٠١٩, p. 9). وفي ٢٥ تموز ١٩٢٠ احتلت القوات الفرنسية دمشق بعد معركة "ميسلون"، لتبدأ حقبة جديد من الانتداب الفرنسي المباشر على كافة الأراضي السورية. فرضت حكومة الانتداب في ٣ آب ١٩٢٠ غرامة حربية على جميع المناطق السورية، وكان نصيب قضاء القنيطرة ٣٠٠٠ دينار ذهبي، بينما دفع قضاء وادي العجم ٢٠٠٠ دينار ذهبي وذلك لكون القضائيين الذين يقعا منطقة الجولان التابعة للنطاق الأزرق الفرنسي (الحكيم, ٢٠١٩, p. 15,).

الجولان وبعض مناطق وقرى درعا كانت تقع على الخط الحدودي الفاصل ما بين منطقتي النفوذين البريطاني والفرنسي، والتي كان تم تحديدها ضمن الاتفاقية الفرنكو-بريطانية في ٢٣ كانون الاول ١٩٢٢ في باريس لترسيم الحدود، بعد إقرارها لاحقًا بشكل نهائي، وهي رسمت بشكل كبير الحدود الحالية التي تفصل ما بين سوريا والعراق، وتم توقيع اتفاق البروتوكول النهائي في ٣١ تشرين الاول ١٩٣١ (The Geographer Office, 1969, p. 14). عاشت سوريا الطبيعية مع بداية مرحلة الانتداب الفرنسي عدة تغيرات جيو-سياسية محورية كان على رأسها قيام دولة لبنان الكبير، والذي ضم خمس أقضية إضافية إلى متصرفية جبل لبنان، وكانت مناطق حاصبيا وراشيا ومرجعيون اللبنانية على تخوم الجولان السوري. وطبقًا للمخطط الفرنسي (في ذلك الحين!!!)، كان الجولان تابعًا لدولة دمشق، ضمن كوكتيل

٧ الملك فيصل الأول بن الحسين بن علي الهاشمي (١٨٨٣ - ١٩٣٣) ثالث أبناء شريف مكة الحسين بن علي الهاشمي وأول ملوك المملكة العراقية (١٩٢١-١٩٣٣) وحاكم سوريا (مارس ١٩٢٠- يوليو ١٩٢٠).

٨ علي رضا باشا الركابي (١٨٦٨ - ١٩٤٢)، سياسي سوري من دمشق، كان ضابطاً في الجيش العثماني وشكل أول حكومة في سورية بعد استقلالها عن الدولة العثمانية، ثم أصبح رئيساً للوزراء في إمارة شرق الأردن. رشح نفسه لانتخابات رئاسة الاتحاد السوري الفيدرالي عام ١٩٢٣ ولأول انتخابات رئاسية في الجمهورية السورية عام ١٩٣٢. ولكن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السّياسي وعاش في دمشق حتى وفاته عام ١٩٤٢.

٩ الأمير محمود الفاعور بني العباس زعيم سياسي من زعماء الجولان الذين برز اسمهم في بدايات القرن العشرين، لعب دوراً كبيراً هو وأبناء الجولان بإنهاء العهد العثماني ومقاومة الاحتلال الفرنسي، تزعم الحركة الوطنية في الجولان. في عام ١٩٠٥ تم تنصيبه أميراً على "قبيلة الفضل" بعد مقتل والده "الأمير محمد الفاعور بني العباس" بالخطأ على يد الأمير سعيد باشا الجزائري.

١٠ الجنرال هنري جوزيف أوجين غورو (١٨٦٧ - ١٩٤٦) ولد في باريس وبها تلقى علومه. أسرته مكونة من ستة أبناء كان هنري فيها أكبر إخوته. انتسب إلى المدرسة العسكرية في سان سير وتخرج فيها برتبة ضابط عام ١٨٨٨م، خدم بسلاح القناصة، وظهرت موهبته عسكرياً واستراتيجياً في أثناء خدمته العسكرية في مالي، وكان من أنصار النظرية العسكرية الفرنسية القائمة على «الهجوم حتى الإبادة».

الدويلات السورية المقترحة. ولكن سرعان ما تم إلغاء هذا التقسيم، لتشكيل الدولة السورية الموحدة.

أثناء الانتداب الفرنسين كان للجولان وسكانه مشاركة فاعلة في الحياة السياسية ومواجهة الاستعمار الفرنسي، وعندما اندلعت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، لم يغيب الجولان وأهله عن معاركها. كان أشهر الشخصيات التي برزت في تلك الفترة الشيخ احمد مريود[11] الذي ينحدر من قبيلة المهداوي التي سكنت قرية جباتا الخشب في الجولان(عبيدات ١٩٩٧، p. 25) . استقلت سوريا في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦، لتحل النكبة الفلسطينية – العربية الكبرى بعد عامين، لتتدفق موجات اللاجئين للفلسطينيين الهاربين من المجازر والبطش الصهيوني نحو لبنان، والأردن، ومصر، وسوريا. الجولان هي ممر قوافل المنكوبين باعتبارها نقطة الاتصال المباشرة بين سوريا والمناطق الداخلية الفلسطينية، فكان على اللاجئين الهاربين، بخاصة من مدينة صفد والجليل الأعلى، أن يعبروا هضبة الجولان الى الداخل السوري، فيما استقر بعض العائلات الفلسطينية في قرى وبلدات ومزارع الجولان.

بعد عام من النكبة، في ٢٠ تموز ١٩٤٩، تم توقيع هدنة بين الطرف إسرائيل وسوريا برعاية الأمم المتحدة، وتم الاتفاق على تحديد منطقة منزوعة السلاح بين الطرفين (S/1353 of 20 July 1949, 2011). بذلك، وقعت كامل المنطقة المنزوعة السلاح ضمن أراضي الجولان، وساد الهدوء المصطنع بين الدولتين، مع كثير من الخروقات المتبادلة والمناوشات المحدودة. تكثفت الاشتباكات في العام ١٩٦٤، ودافعها النزاع على استغلال مياه نهر الأردن، الذي يعد الجولان السوري والينابيع في الجولان هي الرافد الأساسي له.

طوال الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ كانت الجبهة السورية مع إسرائيل مشتعلة بنيران متقطعة بين الجانبين. كانت المدفعية السورية تقوم بقصف المواقع الإسرائيلية الحدودية، مع تسلل مجموعات من الفدائيين الفلسطينيين إلى الداخل الإسرائيلي، حيث ديارهم المحتلة، بالمقابل كان الطيران الحربي يقصف بعنف التحصينات العسكرية على الحدود والمدنيين في الداخل السوري. صعدت إسرائيل عملياتها الجوية ضد القواعد السورية، وقامت بقصف الوسائط والمعدات التي كانت تعمل في المشروع العربي لتحويل روافد نهر الأردن، ما أدى إلى زيادة حدة المواجهات، والتي بلغت ذروتها في الاشتباك الجوي يوم ٧ نيسان ١٩٦٧، وهذا دفع مصر إلى التهديد بالوفاء بالتزامها وفقًا لمعاهدة الدفاع المشترك المصرية-السورية، والتي كان تم التوقيع عليها في ٤ تشرين ثاني ١٩٦٦، فأوفدت رئيس أركان قواتها المسلحة إلى دمشق لتقدير الموقف على الطبيعة الميدانية وتنسيق التعاون العسكري.

بعدها أعلنت مصر حالة التعبئة العامة، وقامت القوات المصرية بعراضات عسكرية اخترقت شوارع القاهرة في ١٥ أيار١٩٦٧ متوجهة نحو سيناء، دعمًا للجبهة السورية، ثم أعلن الرئيس جمال عبد الناصر[12] يوم ٢٣ أيار١٩٦٧ إغلاق مضايق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية. يوم السادس من حزيران عام ١٩٦٧ حلت النكسة بالأمة العربية عندما انهارت جيوشها السلطوية في ستة أيام فقط على الهجوم المعادي. والجدير ذكره أن الهجوم الإسرائيلي على الجبهة السورية بدء اليوم الخامس، ١١ حزيران، وخلال ٤٨ ساعة واصلت القوات الغازية اختراقها للدفاعات السورية على طول الجبهة فوصلت إلى مدينة القنيطرة، حيث صدرت أوامر الانسحاب "التكتيكي" ـوالتقهقر العشوائي للجنود السوريين، وأعلنت الحكومة السورية قبولها وقف إطلاق النار الساعة السادسة والنصف مساء من ذلك اليوم.

خلال ستة أيام انتزعت إسرائيل قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء من السيادة المصرية، وانتزعت الضفة الغربية، بما فيها القدس الشريف، من العرش الهاشمي الأردني. على المحور السوري، استولت إسرائيل على ١١٥٨ كلم من إجمالي مساحة هضبة الجولان، البالغة ١٨٦٠ كلم، وحققت باستيلائها المكاسب الإستراتيجية التي كانت تحلم بها، وذلك لما يتميز به الجولان من تضاريس فريدة من الناحية العسكرية وتبدأ مع النكسة التغريبة الجولانية.

ثالثًا: النزوح القسري لأهل الجولان بعد هزيمة ١٩٦٧

لقد انقسمت روايات النزوح الشعبية من الجولان الى روايتين رئيسيتين. الأولى ذكرت أن هروب عدد كبير من أبناء

١١ أحمد بن موسى بن حيدر مريود (١٨٨٦ – ١٩٢٦)، أسهم بتأسيس الجمعية العربية الفتاة والتي توسعت فيما بعد لتصبح حزب الاستقلال العربي الذي ضم نخبة الرجالات في سورية والأقطار العربية. قام أحمد مريود برفع العلم العربي على بلدية دمشق في ١٩١٨ عند إعلان استقلال سورية عن الدولة العثمانية، وقتل على يد الاستعمار الفرنسي.

١٢ جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠)، قام عبد الناصر بقيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والتي أطاحت بالملك فاروق وكانت بداية مرحلة جديدة في تاريخ مصر تحت حكم العسكر. وكان مناهضا للاستعمار ودعم الثورات العربية في الجزائر، ليبيا، العراق واليمن، وكان له دور رئيسي في وحركة عدم الانحياز.

الجولان تم بإرادتهم نحو مناطق أكثر أمنًا بعد الانسحاب العشوائي للقوات السورية، واتجه معظم العائلات الخائفة مشيًا ناحية قرية خان ارنبة وقرية سعسع الجارتين، وكانوا على أمل العودة حالما تهدأ الأمور، ويتحقق النصر الموعود عبر أثير الإذاعات العربية. أما الرواية الثانية، وهي الرواية الأكثر انتشارًا بين النازحين الجولانيين، والتي لم ينكرها العديد من جنرالات الجيش الإسرائيلي في مذكراتهم الخاصة، وهي أن جنود لواء المظليين الإسرائيلي هبطوا من المروحيات العسكرية وبدأوا بتمشيط التلال، ومن ثم إجبار السكان المحليين على مغادرة منازلهم (Aloudat, 2021)، وتم توثيق ذلك في الحادي عشر من شهر حزيران بعد انهيار الدفاعات السورية بشكل سريع (Collelo & Library Of Congress. Federal Research Division, 1988).

وسط أجواء من الرعب والترهيب قام جنود الاحتلال بتجميع واعتقال كل من رفض الامتثال للأوامر التي تقضي بمغادرة قرى الجولان نحو الداخل السوري، وتم إجبار المدنيين على مغادرة الجولان قصرًا وتحت التهديد والوعيد. كان عدد سكان الجولان ككل حينئذ حسب الإحصاءات الرسمية السورية ١٥٣ ألف نسمة، عدد سكان المناطق المحتلة ١٣٨ ألف نسمة، شردت إسرائيل ١٣١ ألف نسمة منهم وأجبرتهم على النزوح نحو الداخل السوري. موقع وزارة الخارجية والمغتربين- الجمهورية العربية السورية(n.d.)، القرى التي لم يتم تهجير سكانها وفقًا للخطة الإسرائيلية بلغت ستة، هي مجدل شمس، مسعدة، بقعاثا، عين قنية، والغجر وسحيتا. ولكن لاحقًا سنة ١٩٧١ قام الاحتلال الإسرائيلي بتهجير سكان قرية سحيتا (داخليًا) إلى قرية مسعدة، وتم تحويل القرية الى منطقة عسكرية.

شكل نزوح سكان مدينة القنيطرة في الستينيات وريفها خمس معدل الهجرة الداخلية في كل أنحاء القطر بسبب ظروف الحرب وما ترتب عليها من نتائج كارثية (Khawaja, 2002, p. 28,31,46). هذا الواقع لم يتغير بعد حرب تشرين عام ١٩٧٣ وما تلاها من توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار بين الجانبين السوري والإسرائيلي، حيث أعادت الأخيرة مدينة القنيطرة وحوالي ١٠٠ كلم متر مربع للسيادة السورية بموجب الاتفاقية. تلك المساحة المستعادة بما تضمه من قرى لم تكن صالحة لعودة النازحين والعيش بها بسبب ما قامت به إسرائيل من تسوية للمنازل والمباني بالأرض، فبقيت خاوية من السكان، إلى أن قامت الحكومة السورية في الثمانينيات بإعادة تأهيل بعض القرى المحاذية للشريط الحدودي, كما وعملت الحكومة السورية على إنشاء مدينة البعث بالقرب من بلدة خان أرنبة (Refugees, n.d.).

هذه المشاريع المتفرقة لم يخطط لها أن تستوعب الأعداد الكبيرة من النازحين الذين استقر معظمهم على أطراف العاصمة دمشق وريفها. ففي دمشق سكن النازحون في حي الحجر الأسود والقدم ومنطقة القاعة التابعة لحي المديان، كما سكن العديد من النازحين في المخيمات الفلسطينية لقربها من حي الحجر الأسود. كما اعتبرت غوطة دمشق الغربية من أكثر المناطق استقبالا للنازحين وخصوصًا بلدة حجيرة وبلدة السيدة زينب وبلدة الذيابية وبلدة السبينة، والتي بني فيها مخيم للنازحين الأكثر فقرًا. كما استقر عدد كبير من النازحين في قرية جديدة الفضل عند المدخل الغربي لمدينة دمشق، بالإضافة الى مخيم الوافدين الذي بنته الحكومة في منطقة عدرا شمالي العاصمة دمشق، بجانب الطريق الدولي الذي يربط العاصمة بمدن الوسط والشمال.

رابعًا: محاولات الحل السلمي

منذ احتلال الجولان عام ١٩٦٧، مرت المنطقة بتحولات كبيرة وتغيرت طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي، وخصوصًا بعد حرب التحريك عام ١٩٧٣، والتي تبعتها التنازلات المصرية وصولًا إلى توقيع اتفاقية سلام منفردة مع إسرائيل عام ١٩٧٩، والتي تمكن عبرها الرئيس السادات[١٣] من استعادة شبه جزيرة سيناء، وإن كانت منقوصة السيادة ومنزوعة السلاح. والجدير ذكره أن الاتفاقية الثنائية نصت على تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، والمتعلق بانسحاب إسرائيل إلى حدودها ما قبل توسع ١٩٦٧، مما بعث بعض الأمل لنازحي الجولان بالعودة.

ولكن على الجانب السوري، كان الرفض تامًا لتلك الخطوة المنفردة المصرية، وساهمت دمشق في قيام جبهة عربية لعزل القاهرة عن مكانتها الشرق أوسطية. ومن هنا تشكلت "جبهة الصمود والتصدي"، وهي حلف ضم كل من ليبيا، وسوريا، والعراق، والجزائر، ومنظمة التحرير الفلسطينية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. قررت جبهة الصمود والتصدي في أوّل قمة لها تجميد العلاقات الدبلوماسيّة مع مصر بهدف عزلها

١٣ محمد أنور السادات (١٩١٨ – ١٩٨١)، أحد الضباط الأحرار، خاض حرب أكتوبر التي حقق الجيش المصري في بدايتها انتصارا كبيرا على الجيش الإسرائيلي بعد أن عبر قناة السويس. اقترن اسمه باتفاقية كامب ديفد التي كانت أول معاهدة سلام توقعها دولة عربية مع إسرائيل، مما أثار عليه سخطا واسعا وأدى إلى مقاطعة مصر عربيا. اغتيل يوم ٦ تشرين الأول ١٩٨١ على المنصة أثناء عرض عسكري لذكرى العبور.

عن عالمها العربيّ. وتمكنت جبهة الصمود والتصدي من أخذ موافقة أعضاء جامعة الدول العربية على قرار ينص على طرد مصر من جامعة الدّول العربيّة ونقل مقرها من القاهرة إلى العاصمة التونسيّة. بعد ذلك تم عقد القمة العربية في بغداد عام ١٩٧٨. وهي القمة التي رفضت نهج السادات واعتبرت اتفاقية كامب ديفيد عملية استسلام من قبل النظام المصري للعدو الصهيوني، وضربة للتضامن العربي والنضال الفلسطيني. وفي قمتها الثالثة في العاصمة السورية دمشق، أعلنت الجبهة رفضها التام اتفاقية كامب ديفيد.

سوريا في ذلك الوقت، وقعت مع الإتحاد السوفياتي معاهدة الصداقة (Collelo & Library Of Congress. Federal Research Division, 1988, p. 227) وحصلت على الدعم السياسي والعسكري والتمويني من موسكو. ولكن مع انهيار جدار برلين وهزيمة حلف وارسو، بدأت القيادة السورية مد خطوط التواصل والتفاهم مع المعسكر الغربي، وشاركت القوات السورية في حرب الخليج الأولى ضمن قوات التحالف الغربي، الذي قادته الولايات المتحدة الأميركية لإنهاء الاحتلال العراقي لدولة الكويت.

بدأت أولى جولات المفاوضات بين الجانب السوري والجانب إسرائيلي برعاية أميركية في مؤتمر السلام في مدريد عام ١٩٩١ والذي بنيت عليه جولات المفاوضات التالية، وتم تسمية نقاط التفاوض "بمرجعية مدريد". شكّل مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١ بداية محاولة السلام في الشرق الأوسط، حيث شهد جلوس الإسرائيليّين مع العرب إلى طاولة المفاوضات للمرة الأولى منذ مؤتمر جنيف كانون الأول ١٩٧٣، كما كانت المرة الأولى تجلس دول خط المواجهة العربيّة الأربع جميعًا مع الإسرائيليّين منذ مؤتمر لوزان ١٩٤٩. استمرت جولات المفاوضات طيلة فترة التسعينيات برعاية إدارة الرئيس بيل كلينتون، لكنها لم تفض الى حلّ يضمن عودة الجولان الى سوريا وعودة سكانه إليه.

مرّ ما يقارب الاثنين والعشرين عامًا منذ أن جرت جولة مفاوضات مباشرة جرت بين الجانبين، حيث تغيرت الظروف الدولية خلال تلك الفترة وخصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، والتي ألقت بثقلها وآثارها وتداعياتها على العالم برمته، ومن ضمنه الشرق الأوسط بالتأكيد، بخاصة الحملات العسكرية الأميركية على أفغانستان والعراق والصومال. كانت الحكومات الإسرائيلية اليمينية المتعاقبة مستفيدة من الوضع القائم كونها لا ترغب باستئناف المفاوضات مع الجانب السوري ومناقشة مستقبل الجولان. ولكن خلال العقد الذي سبق الأزمة السورية عادت المفاوضات السورية الإسرائيلية الى دائرة الضوء من خلال وساطة تركية. ففي العام ٢٠٠٧، حاولت أنقرة إحياء المفاوضات بين الطرفين، لكن تلك المحاولة لم تثمر عن استئناف المفاوضات، كما أنها لم تفض إلى نتيجة تذكر، بخاصة فيما يتعلق بوضع الجولان المحتل، مع ترجيح تفاهمات ثنائية بالنسبة للتماس السوري – الإسرائيلي على الأرض اللبنانية.

أن السمة الأساسية التي ميزت المفاوضات الإسرائيلية السورية كانت المماطلة والتسويف، حتى جاء إعلان اعتراف الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب بسيادة إسرائيل على كامل مرتفعات الجولان في آذار ٢٠١٩ بمثابة الدفعة الكبيرة للآمال الإسرائيلية باعتبار الجولان جزء لا يتجزأ من الدولة اليهودية. فالقرار الأمريكي جاء ليدعم "قانون مرتفعات الجولان"، حين صدق الكنيست الإسرائيلي في ١٤ كانون الأول ١٩٨١ على قرار يطبّق فيه القانون الإسرائيلي في المناطق المحتلة من الهضبة(Golan Heights Law, n.d.). هذا الإعلان اعُتبر مخالفًا للقانون الدولي ولقرارات الأمم المتحدة التي تعتبر الجولان أرضًا محتلة في العام ١٩٦٧ من قبل إسرائيل. الأمر الذي أكده تصريح الأمين العام للأمم المتحدة بأن الاعتراف الأميركي لن يغير من وضع الجولان بشيء ("U.N. Chief Clear That Golan Status Has Not Changed," 2019).

خامسًا: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لنازحي الجولان

عندما طُرد الجزء الأكبر من النازحين من بيوتهم وأرزاقهم بدأت رحلة المعاناة الأولى في البحث عن مأوى، وعندما استقر الحال البائس في مناطق جنوب العاصمة دمشق وقرى ريف الغوطة الغربية وجديدة الفضل والمخيمات والقرى والأحياء، شكل هؤلاء المستضعفون الغالبية المطلقة في تلك الأحياء والقرى والمناطق الفقيرة على أطراف العاصمة وريفها. أطلق السكان المحليون في مدينة دمشق على مناطق تجمع نازحي الجولان تسمية "قرية النازحين - حي النازحين - شارع النازحين"، وكانت التسمية المتداولة على أهالي الجولان أنفسهم بـ"النازحين"، وهذه الصفة التي أصبحت تستخدم بشكل أو بأخر كنوع من أنواع التمييز ضدهم.

كان معظم سكان القنيطرة وجوارها من الريفيين الذين علموا طوال حياتهم بالزراعة والرعي، وكان معظمهم من الفلاحين الفقراء البسطاء الذين تأثروا كغيرهم من الطبقات الفلاحية الكادحة في سوريا بالمدّ القومي العروبي في خمسينات وستينيات القرن الماضي، ومن هنا كانت كثرة أعداد المنتمين

لحزب البعث العربي الاشتراكي، فالأغلبية من سكان القنيطرة قاموا بالانتساب الى الحزب البعث، حالهم حال كافة فلاحي سوريا، لكن مع استقرارهم في مدينة دمشق وريفها وفي العام واصل أهالي القنيطرة الانتساب في حزب البعث (فلّاحو سورية, ٢٠١٤, p. 354,355).

وصلت أعداد المنتسبين لحزب البعث من محافظة القنيطرة الى أرقام قاربت عدد سكانها النازحين. يعزى هذا الإقبال الكبير للانتساب للحزب الحاكم لعدة أسباب أهمها، الحصول على الوظائف في مؤسسات الدولة والانضمام للأجهزة الأمنية. قامت مؤسسات القطاع العام بتوظيف أعداد كبيرة من نازحي الجولان، بل وأشارت تقارير إلى تفضيل أبناء الجولان على أبناء الأرياف الأخرى في مؤسسات الدولة . (A View From Damascus: Internal Refugees From Golan's 244 Destroyed Syrian Villages, by JoMarie Fecci, June 2000, n.d.)

الوظائف التي شغلها أبناء الجولان كانت وظائف موزعة بين التعليم في المدارس الابتدائية الرسمية لحملة الشهادات الثانوية، والتطوع في جهاز الشرطة والاستخبارات، كما تم توظيف عدد كبير من غير المتعلمين عمالًا لقطاعات مختلفة في بلدية دمشق، كعمال نظافة، أو بستانيين في مديرية حدائق دمشق. في نفس الفترة الزمنية، وبسبب كونهم من المسلمين السنّة، انضمت الى تنظيم الإخوان المسلمين مجموعات من الشبان المتعلمين والحرفيين الجولانيين، أبرزهم عدنان العقلة الذي ينحدر من عائلة مزارعة بسيطة (فلّاحو سورية, ٢٠١٤,, p. 493) كان عدنان العقلة[١٤] مهندسًا في الثلاثينيات من عمره عندما عين قائدا للطليعة المقاتلة وأصبح من أبرز شخصيات في جماعة الإخوان المسلمين في سوريا في بداية الثمانينيات. (فلّاحو سورية, ٢٠١٤, p. 293).

تصاعدت أواخر السبعينيات من القرن الماضي المواجهات المسلحة بين جماعة الإخوان المسلمين وأجهزة السلطة في سوريا، بخاصة في مدن الشمال، أما في المناطق التي يقطنها أهالي الجولان والموزعة بين دمشق وريفها فلم تشهد أي مواجهة تذكر. السبب الواضح هو أن هذه المواجهات لم تحمل مطالب اجتماعية أو اقتصادية، لذلك لم تحظ بأي دعم يذكر من قبل شرائح كبيرة من المجتمع الجولاني.

حملت فترة الثمانينات تغيرًا نفسيًا جديدًا، حيث ولد جيل جديد لم ير الجولان قطّ، وبدأ بالتأقلم مع حياة النزوح في المخيمات التي اقمت في أحياء دمشق وريفها، كما بدأ هذا الجيل بممارسة بعض الحرف والعمل في القطاعات الخدمية الحكومية. هذا بخلاف الجيل الأكبر سنًا الذي امتهن الزراعة والرعي قبل التهجير، وبالتالي استمر يلاقي الصعوبات في الانخراط في سوق العمل، وذلك لعدم الدراية بأي مهنة حرفية وانعدام التحصيل العلمي بين أبناء ذلك الجيل. وبشكل عام لم تتوفر للنازحين بمختلف أجيالهم فرصة المنافسة في سوق العمل، وكان الحل في العمل في قطاع البناء، والذي تعتبر ظروف الشغل فيه بشكل عام قاسية وذات مدخول محدود.

ترافق توسع المناطق التي يقطنها سكان الجولان وازدياد أعدادهم في فترة الثمانينات مع فترة عدم استقرار واضطرابات عاشتها سوريا، حيث تتالت الأحداث السياسية والأمنية، والتي أثرت سلبًا على اقتصاد البلاد. بالإضافة الى إدراج السلطة الحاكمة على قائمة العقوبات من قبل الدول الغربية، فخسرت الليرة الكثير من قيمتها. ففي خلال عشر سنوات تراجعت قيمة الليرة السورية أمام الدولار بشكل كبير، في حين بدأت السلع الأساسية تنقص بشكل تدريجي في الأسواق. (Collelo & Library Of Congress. Federal Research Division, 1988, pp. 109–111)

مع اشتداد الأزمة الاقتصادية في سوريا زادت من المعاناة الاقتصادية والاجتماعية التي واجهها أهالي الجولان بشكل كبير أكثر من غيرهم. فبعد أن فقد الجولانيون أراضيهم وأرزاقهم، دخلوا بسبب الحاجة والعوز في منافسة لم يريدوها مع سكان دمشق وريفها في مجالات صناعية وزراعية متعددة. في كانون الأول عام ١٩٨١ صدق الكنيست الإسرائيلي على "قانون مرتفعات الجولان" الذي ينص على تطبيق حكومة إسرائيل قوانينها على الهضبة المحتلة. وكانت مجاورة نازحي الجولان للاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم وأحيائهم عاملًا نفسيًا محبطًا بدوره، فهم مثلهم فقراء ومهجرون، وعليهم التنافس على سوق العمل المحدود. ومع انهيار الاقتصاد الريفي في سوريا، تصاعدت الهجرة الداخلية، وخصوصًا هجرة أهل الريف نحو المدن الرئيسية، والتي شكلت فيها العاصمة دمشق اهم وجهات الاستقطاب، وفي عام ١٩٩٠ وصلت نسبة اللاجئين

١٤ عدنان عقلة (١٩٥٠ – ١٩٨٢)، كان زعيم حركة تسمى الطليعة المقاتلة، وهي جماعة مسلحة متصلة بالإخوان المسلمين الذين بدأوا في انتفاضة مسلحة ضد النظام العلوي، ولكن باءت بالفشل الزريع. لوحظ كونه أكثر شخصية مؤثرة وكاريزمية في الطليعة.

والنازحين والمهجرين حوالي ٣٠% من سكان دمشق (Khawaja, 2002, p. 41).

مع اكتظاظ أطراف العاصمة، وخصوصًا المنطقة الجنوبية فيها بالقادمين الجدد من أرياف المحافظات الأخرى، شكلت زيادة السكان المضطردة في المدينة عاملًا ضاغطًا على فرص العمل الشحيحة أصلًا، وبالتالي أثرت بشكل سلبي على نازحي الجولان، وهم الأكثر فقرًا ولا مكان يمكن أن يعودوا إليه. بالمقابل استفاد المواطنون السوريون، ومنهم النازحين من الجولان، من الأنظمة السياسة ذات الطابع الاشتراكي للدولة، بخاصة على الصعد التموينية والتعليمية والاستشفائية. المحرك الرئيس للاقتصاد السوري هو "القطاع العام"، والذي يركز على الاستثمار في المشاريع الكبرى المرتبطة بالبنى التحتية والصناعة، كما أن الدولة كانت توفر الدعم لكافة القطاعات الخدمية بدءً من الطبابة مرورًا بالتعليم وانتهاء بدعم المحروقات والمواد الأولية كالخبز والأرز والسكر. فكانت كل عائلة تتلقى مخصصات تختلف كمياتها طبقًا لعدد أفراد الأسرة، وتعطى من قبل وزارة التموين والتجارة. (Shamel, n.d., pp. 11, 12)

استمرت تلك السياسات الاقتصادية التعاونية لتحقيقها نوعًا من الاستقرار الاجتماعي، خصوصًا فيما يخص دعم قطاعي الزراعة والصناعة. فهذان القطاعان يضمان حوالي نصف القوة العاملة السورية، وكانت المساعدات الحكومية جوهرية لتأمين قوت الشعب، بخاصة بعد تضاعف عدد السكان من ١٢ مليون في العام ١٩٩٠ الى ٢١ مليون عام ٢٠١٠ (مؤشرات التنمية العالمية | بنك البيانات, n.d.) مقابل عيش تلك الفئات الكادحة، ظهر نوع جديد من العلاقة الانتفاعية بين النظام الحاكم والعائلات البرجوازية التقليدية الثرية في المدن الرئيسية، على وجه الخصوص مدينتي دمشق وحلب. هذه العلاقة التي اتصفت بالمحاباة والزبائنية بين تلك الطبقة الغنية وأجهزة الدولة، وكان الغرض من تلك العلاقة هو التوجه لنموذج اقتصادي جديد يدعم القطاع الخاص، على حساب القطاع المملوك للدولة.

لذلك، ومنذ بداية الألفية بدأت مرحلة جديدة اتسمت بتغيير سياسات الدولة الاشتراكية وسيرها نحو تبني نهج نيو ليبرالي، عززت فيه الخصخصة الاقتصادية وزاد الانفتاح على الاستيراد. نتج عن تلك السياسات انعدام الأمن الاقتصادي والاجتماعي لدى الطبقات الفقيرة والريفية من السوريين، بينما بدأت العوائل البرجوازية والأنسباء والأقارب والمقربين من مركز صنع القرار في النظام بالتنعم بفوائد التحول الاقتصادي والوفورات المالية المتدفقة. في ظل التحول نحو الأنماط النيو ليبرالية، تزايدت الهجرة نحو المدن بشكل كبير، خصوصًا بعد الجفاف الذي ضرب منطقتي الجزيرة وحوران، فزاد الاكتظاظ السكاني في المناطق الأكثر فقراً، كما زادت المنافسة في سوق العمل الرخيص، خاصة قطاع البناء.

سادسًا: تأثير الأزمة السورية على نازحي الجولان

تُعَدّ الأزمة السورية التي بدأت بموجة من الاحتجاجات على الأوضاع المعيشية في سوريا تماهيًا مع "الربيع العربي"، من أقسى وأفظع الأزمات التي واجهت سكان كافة مناطق السورية منذ الحرب العالمية الأولى، حيث تتالت فصول أحداثها لتتحول من المظاهرات السلمية الى صراع مسلح مستمر منذ ما يقارب الأحد عشر عامًا. لا يمكن ربط الاحتجاجات في سوريا فقط بتأثرها بدول الجوار، وخصوصًا ان الاحتجاجات في سوريا بدأت في المناطق الريفية المهمشة والتي تأثرت بشكل كبير جدًا بالتحول الاقتصادي الكبير وعوامل التغير المناخي والجفاف. فمع بدأ أهالي مدينة درعا في جنوب سوريا بالتظاهر، انضمت سريعًا العديد من المناطق الريفية الفقيرة في كافة أرجاء سوريا للاحتجاجات.

من الجدير بالذكر هنا أن مدينة درعا هي مدينة متاخمة لمنطقة القنيطرة ويقطنها العديدة من أهالي الجولان، وخصوصًا منطقة درعا البلد المنطقة التي تعتبر مركز المدينة. منذ نزوح سكان الجولان الداخل السوري سكن أفراد من عشرة السرحان الجولانية في مدينة درعا، وكان مخيم درعا من أكثر المناطق اضطرابًا في بداية الأحداث، وتوافد سكانه للتظاهر في مدينة درعا. وحين امتدت الاحتجاجات الى مدن وبلدات دمشق وريفها، كان نازحي الجولان الذين يقطنون منطقة الحجر الأسود من أوائل الذين شاركوا في الاحتجاجات، نظرًا لتردي الوضع المعيشي في المناطق، والفقر المدقع الذي يعانونه.

سرعان ما امتدت الاحتجاجات إلى منطقة جديدة الفضل ومخيم السبينة وحجيرة والذيابية وأحياء القدم والتضامن، والتي يقطنها أهالي الجولان، وبالتالي تحولت إلى بؤر احتجاجات ساخنة، استمر سكانها بالتظاهر السلمي لنحو عام. مع بداية العام ٢٠١٢، أخذت الانتفاضة منحًا أكثر عنفًا وأكثر دموية. فمع الاعتقالات التعسفية والقمع والاستخدام المفرط للقوة في إرهاب السكان، بدأت بوادر مقاومة مسلحة في عدة أماكن في الظهور ومواجهة قوات الأمن الحكومية. وسرعان ما تطورت الأمور ليبدأ سكان العديد من المناطق بالتسلح وشن هجمات

على قوات الأمن لتتحول المواجهات بين المتمردين والقوات الحكومية الى حرب شوارع بدأ معها استخدام الأسلحة الثقيلة والقصف التدميري.

مع صيف العام ٢٠١٢ ("Syria Unrest," 2012) كانت عدة أحياء يقطنها نازحي الجولان كالحجر الأسود والتضامن والقدم ونهر عيشة تحت سيطرة الأهالي بعد طرد القوات الحكومية وأجهزتها الأمنية. مع استمرار المواجهات في جنوب العاصمة دمشق، سيطر المنتفضون على العديد من الأحياء المتاخمة، فيما اتخذت المواجهات في منحى طائفيًا بحتًا. وكانت المواجهة الأعنف في ربيع العام ٢٠١٣ بين منطقة جديدة الفضل، التي يقطنها أبناء عشيرة الفضل الجولانية، ومنطقة مساكن ميسلون المجاورة التي تقطنها أغلبية علوية ("Syria Army Seizes Jdaidet Al-Fadl 'Killing Dozens,'" 2013) .

مع اشتداد المواجهات في تلك الأحياء ازدادت موجات نزوح السكان نحو مناطق أكثر أمنًا بعيدًا عن الاشتباكات. وتركزت موجات النزوح نحو حدود الجولان، نظرًا لهدوء المنطقة المتاخمة لإسرائيل وخلوها من المواجهات والاشتباكات العنيفة. ولكن خلال العام ٢٠١٣ تحولت الاحتجاجات في سوريا الى صراع مسلح دامي عم كافة أرجاء الأراضي السورية. وعندئذ، عادت منطقة القنيطرة الى واجهة الأحداث مجددًا، بخاصة بعد أن شنت فصائل المعارضة عمليات عسكرية عديدة ضدّ القوات الحكومية المتمركزة على خطوط التماس الدولية. وفي ربيع العام ٢٠١٣ أصبحت منطقة القنيطرة في واجهة الأحداث الدولية بعد أن تم اختطاف ٢١ جنديًا من قوة الأمم المتحدة لمراقبة فضّ الاشتباك ("Syrian Rebels Seize U.N. Peacekeepers near Golan Heights," 2013) ، وفي صيف العام ٢٠١٤، تمكنت المعارضة السورية بعد معارك طاحنة استمرت حتى منتصف شهر أيلول من السيطرة على مدينة القنيطرة، والتمركز على بعض المعابر الحدودية مع العدو الإسرائيلي.

لقد لعب قرب محافظة القنيطرة من الحدود مع إسرائيل، ووقوعها ضمن المنطقة المنزوعة السلاح، دورًا كبيرًا في تراجع القوات الأمنية السورية، وتحول المنطقة إلى ملاذًا آمنًا للهاربين من الاشتباكات والمعارك في مناطق جنوب سوريا. كانت مناطق الجنوب السوري تشهد معارك متفرقة بين الطرفين، خلفت أعدادًا ضخمة من الضحايا وأرتالًا من النازحين الجدد. وفي العام ٢٠١٤ أجريت دراسة ميدانية أعدتها مجموعة من الجمعيات غير الحكومية المحلية بالتنسيق مع مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، لدراسة أوضاع سكان القنيطرة والنازحين إليها، شملت الدراسة ٢٧٣ ألفًا شخصًا نحو ٦٠ بالمئة منهم نازحون. ما مجموعه ١٦٧ ألف نازح الى محافظة القنيطرة. (Quneitra Governorate Assessment Report_FINAL.Pdf, n.d.)، وكانت الخلاصات مأساوية في شرحها لهول أوضاع السكان المحليين والهاربين نحوهم من جيرانهم السوريين.

استمر الوضع بالتدهور في سوريا بشكل عام والقنيطرة بشكل خاص لما يقارب الست سنوات، دفع فيها المدنيون الثمن الأكبر للصراع الدائر في مناطقهم، بخاصة بعد تدخل إيران وأتباعها من مقاتلين لبنانيين وعراقيين وأفغان، وبدء التلاعب بالتوازن الديمغرافي للمجتمع السوري. تدهورت الأوضاع الإنسانية بشكل كبير جدًا وخصوصًا أن المدينة وريفها التي لا تمتلك البنى التحتية والمرافق لاستقبال هذه الأعداد الكبيرة من النازحين. وكان قسم من الهاربين يلجؤون للسكن عند أقاربهم، ولكن الشريحة الأكبر، والأقل حظًا، سكنت المرافق العامة، كالمدارس العامة والمباني الحكومية المهجورة، وبعد ذلك المخيمات الجديدة على مقربة من الحدود الدولية.

أدى توازن القوى بين قوات المتمردين والقوات الحكومية وحلفائها، بإرادة دولية (وإسرائيلية) الى استعصاء الحل العسكري للحسم لأحد الطرفين. كما كان لاتباع النظام الحاكم سياسات حصار المدن والبلدات وقطع طرق المواصلات الرئيسية، وفي هذه الحالة قطع الطريق الرئيسي الذي يربط المحافظة بالعاصمة دمشق، آثار كارثية اقتصادية واجتماعية فاقمت أوضاع النازحين. في ظل تلك الظروف وطول تلك الفترة الممتدة بين العام ٢٠١٣ حتى العام ٢٠١٨ بدأ العديد ممن نزحوا الى الجولان بالبحث عن ملاذ أكثر أمنًا، وخصوصًا عندما كانت تزيد حدة الاشتباكات والاقتحامات المتبادلة. كان الخيار الوحيد المطروح لدى أهالي الجولان هو اللجوء الى دول الجوار وخصوصًا لبنان والأردن، الدولتان التي يرتبط معهما الجولان بحدود برية.

طرأ تغير كبير في صيف العام ٢٠١٨ م فمع التدخل الروسي لصالح النظام، رجحت الكفة الميدانية لقواته، وبدأت ميليشياته باستعادة المدن والقرى والبلدات التي خسرتها لصالح الثوار طوال الفترة السابقة. كانت محافظة القنيطرة من المحافظات التي تمت فيها "المصالحات"، بخاصة أنها لم تشهد معارك فاصلة، بسبب وقوعها ضمن منطقة فض الاشتباك مع إسرائيل، وبالتالي كانت الصدامات السورية – السورية

بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة، بسبب دخول آليات ثقيلة واستخدام المدفعية والطائرات. تمت المصالحات بين النظام والمتمردين بوساطة روسية ضمنت خروج الكثيرين ممن يردون مغادرة القنيطرة الى مدن الشمال السوري، بخاصة محافظة إدلب. وهكذا غادرت أعداد كبيرة من المسلحين وعائلاتهم الى مناطق المعارضة الشمالية، ومن ثم غادر العديد منهم الى تركيا. على جبهة دمشق، وبدعم روسي أيضًا، سيطرت القوات الحكومية على كافة أحياء نازحي الجولان في العاصمة وريفها، ولكن تلك الأحياء لم تعد صالحة للسكن لشدة المعارك التي دارت بها وتعرضها للقصف بالبراميل المتفجرة ومختلف أنواع الذخائر الانشطارية.

سابعًا: من نازحين في الوطن إلى لاجئين في المعمورة

خلفت الأزمة السورية أكبر موجة لجوء دولية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث بلغ عدد الهاربين السوريين في دول الجوار وحدها نحو ٦,٦ مليون لاجئ، توزعوا بين لبنان، والأردن، والعراق، ومصر.

تركيا، الجارة الشمالية، والفاصل الجغرافي العائق للوصول إلى الجنة الأوروبية، كانت جسر العبور الأهم إلى القارة العجوز. أنقرة كانت قد وقعت على "اتفاقية جنيف" لعام ١٩٥١ والمتعلقة باللجوء، إلا أنها تحفظت حينها، ولأسباب قومية طورانية، على بند "القيود الجغرافية" في الاتفاقية، وبهذا لا تمنح تركيا صفة "لاجئ" من الناحية القانونية لمن قدم إلى أرضها من غير الأوروبيين. وعليه، لم تستقبل تركيا السوريين بصفة "لاجئين"، إنما تم توفير وضعية "الحماية المؤقتة"، استنادًا إلى المادة ٩١ من قانون الأجانب والحماية الدولية المرقم ٦٤٥٨، والصادر في ٤ نيسان ٢٠١٣، إضافة إلى تشريعات نظام الحماية المؤقتة المرقم ٦٨٨٣/٢٠١٤ الصادر في ١٣ تشرين الأول ٢٠١٤، استنادًا إلى المادة ٩١ من قانون الأجانب والحماية الدولية.

أما بالنسبة إلى أعداد السوريين في تركيا، بحسب آخر تحديث لوزارة الداخلية التركية والمديرية العامة لإدارة الهجرة، في ٨ أيار ٢٠٢٠، فقد بلغ عددهم ٣,٧٥٩,٠٠٨، وهم المسجلون في قيود دائرة الهجرة وشعبة الأجانب في الولايات التركية. ويتوزع السوريون على الولايات الواح والثمانين التركية، وتختلف أعدادهم، بحسب كل ولاية، تبعًا للبيئة الاجتماعية الحاضنة، أو للبيئة التي قدموا منها، أو لتوفر فرص عمل تناسب كفاءاتهم وقدراتهم. تركيا هي منطقة عبور للوصول إلى الحاضنة الغربية، والهدف الأهم لرغد العيش المأمول هو ألمانيا، والتي استقبلت نحو ٩٠٠ ألف لاجئ سوري، تليها، السويد حيث استقبلت أكثر من مئة ألف لاجئ. إضافة الى اللاجئين الموزعين في كافة أنحاء المعمورة، يعيش اليوم في سوريا نحو ٦,٧ مليون نازح داخلي(Syria Operational Update, n.d.). النازحين الداخليين يعيشون ظروفًا أكثر صعوبة من اللاجئين إلى الخارج، فحسب برنامج الغذاء العالمي، شهد العام ٢٠٢١ ارتفاع مستوى انعدام الأمن الغذائي الى مستويات غير مسبوقة، وصلت لنحو ١٢,٤ مليون شخص يعانون من سوء التغذية وانعدام الاستشفاء (٢٠٢١ من أصعب السنوات التي مرت على سوريا World Food | Programme, n.d.)

تعكس هذه الأرقام الوضع الذي وصل إليه حال السوريون داخل سوريا وفي بلدان اللجوء المجاورة لسوريا، تلك الأوضاع التي وصل إليها النازحون واللاجئون دفعت معظمهم بما فيهم مواطني وأهالي الجولان الى التفكير ببديل يوفر لهم حياة كريمة بعيدة عن الصراعات والنزاعات، والنزوح واللجوء، وحالة الحرمان والعوز التي يعشونها منذ ما يقارب الخمسين عامًا، والتي ازدادت سواء بفعل الأزمة السورية وتبعاتها الكارثية على الإنسان السوري. وفقًا لهذه الأرقام المهولة، نصف عدد سكان سوريا اليوم هم بين لاجئ ونازح، أما أهالي الجولان المحتل منذ العام ١٩٦٧، فمأساتهم مزدوجة، فهم مهجرين ونازحين للمرة الثانية، وباتوا لاجئين في دول الجوار والكثير منهم يسعى للهجرة غير الشرعية، والمميتة، عبر البحر المتوسط.

إن الأحياء التي نزح إليها سكان الجولان بعد العام ١٩٦٧ م والتي أصبحت ملاذًا أمنًا لهم لما يقارب الأربعين عامًا مدمرة بشكل شبه كامل وتحتاج لفترات طويلة لإعادة إعمارها. إضافة الى ذلك، لا يملك أهالي الجولان، كغيرهم من أقرانهم من السوريين في مناطق الصراع الأخرى، خيار العودة الى قراهم وبلداتهم الأصلية، بسبب استمرار وقوعها تحت قبضة الاحتلال الإسرائيلي. لعل نازحي الجولان واللاجئين الفلسطينيين في سوريا من الجماعات القليلة في الشرق الأوسط التي عاشت مأسي اللجوء والنزوح عدة مرات، لدرجة أنه أصبح الفرد منهم لديه الشعور بعدم الانتماء لأي مكان، خصوصًا أن الأجيال التي ولدت بعد العام ١٩٦٧، واللذين يشكلون فئاتها العمرية الممتدة ما بين الخمسين عامًا والعشرين عامًا، لم يعرفوا موطنهم الأصلي، ومن ثم تم طردهم من أماكن سكنهم.

في ظلّ هذه المآسي التي يعيشها أهالي الجولان وتحول نسبة كبيرة منهم من نازحين الى لاجئين في دول عدة، وتعذر عودتهم الى سوريا، لعدة أسباب أهمها، الخوف من معتقلات

السلطة، إضافة إلى خسارتهم لمنازلهم وأحيائهم التي كانوا يقطنونها قبل الأزمة، أصبح الحلم الأوروبي هو الحل الأمثل، ويجمع المعظم منهم على الرغبة بالانسلاخ عن كل ما يربطهم بوطنهم الأم. للأسف، مع تطور فصول الأزمة السورية وتعذر عودة اللاجئين إلى مخيماتهم، لم يعد التفكير بالعودة الجولان من ضمن أولويات النازحين اللاجئين، خصوصًا في ظل الجبروت الإسرائيلي والضعف العربي، لتتضاعف المأساة الإنسانية الجولانية.

خاتمة

لقد القت الأزمة في سوريا بظلالها على احتمال استئناف المفاوضات بين سوريا وإسرائيل، وعلى الوضع السياسي العام في منطقة الشرق الأوسط، الذي يمر بدوره بالعديد من التحولات. اليوم تسيطر الدولة السورية بدعم إيران وميليشياتها على حوالي ٤٠% من الأراضي السورية، وينقسم الباقي بين الأفرقاء المتناحرون. وكما توضح الخريطة رقم (٧) يسيطر على الشمال الشرقي للبلاد مجموعات كردية مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، كما يوجد جيب من مليشيات محلية مدعومة من قبل تركيا تسيطر على مناطق واسعة على طول الحدود بين سوريا وتركيا، كما تتواجد مجموعات جهادية تسيطر على مدينة إدلب في الشمال السوري. هذا التفكك والتشتت الذي تعيشه سوريا اليوم الذي انعكس على وضع الجولان المحتل، كما أن احتمال إجراء مفاوضات على المدى المنظور مع الجانب الإسرائيلي لعودته سلميًا مستبعدة حاليًا.

تعيش سوريا اليوم واحدة من أسوء الأزمات السياسية والاجتماعية التي مرت بها عبر تاريخها. كما أن الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعيشه البلاد جراء تبعات الحرب يضع ما تبقى من أحلام وأمال لدى أهالي الجولان الذين يعيشون أوضاعًا كارثية في مهب الريح. إن المؤشرات لا تدل على تحسن الوضع الداخلي بعملية تعافي على المستويين الداخلي والخارجي للنهوض بالبلاد من جديد.

تبقى قضية الجولان معُلقة من دون حلّ سياسي يعيد الأمور الى نصابها، ويبقى أهالي الجولان يعيشون اليوم ليس فقط كنازحين داخليين، بل كلاجئين منتشرين في كافة أصقاع الأرض يبحثون عن انتماء جديد ينهي خمسين عامًا من التشرد والمأساة.

الملاحق

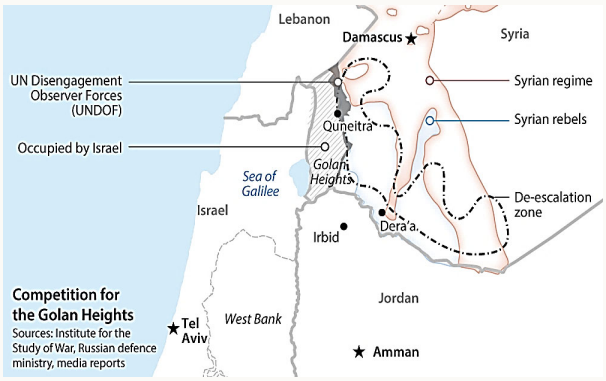

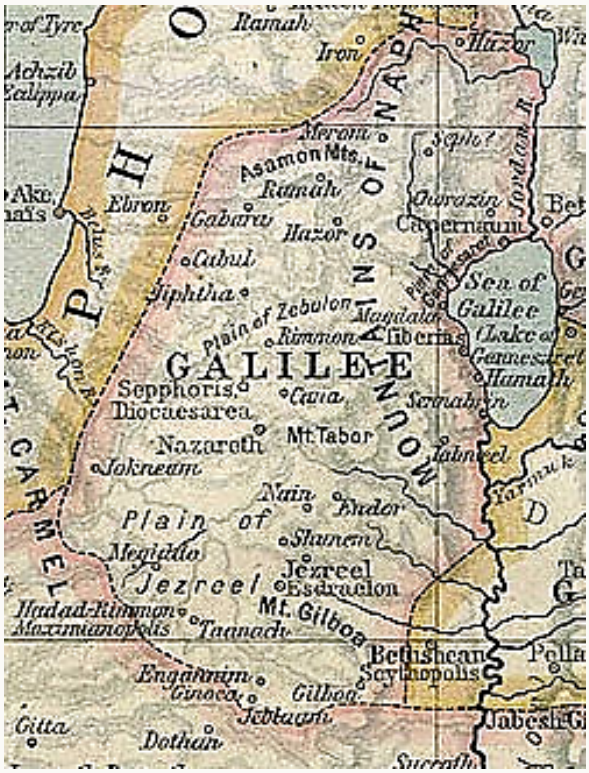

١ -الجولان أثناء الحرب اليهودية – الرومانية

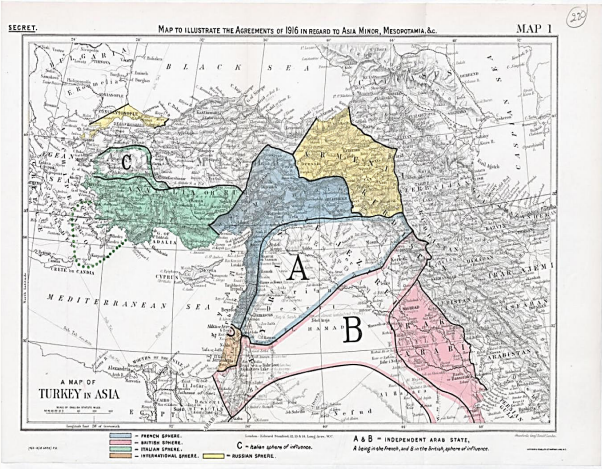

٢ -خارطة التقسيم وفقًا لاتفاقية سايكس - بيكو

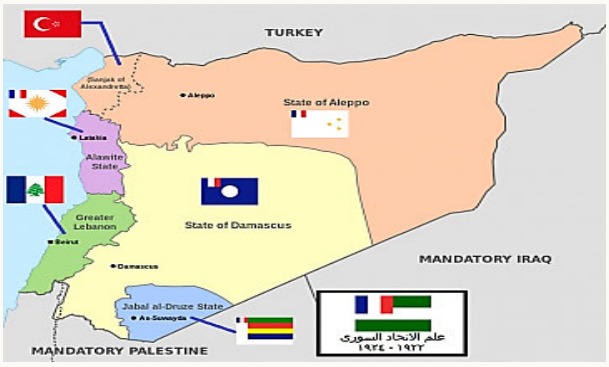

٣ – خريطة المستعمر الفرنسي لتقسيم سوريا

٥ -خريطة الصراع بين قوات النظام ومسلحي المعارضة

٤-خريطة قرى الجولان المحتل

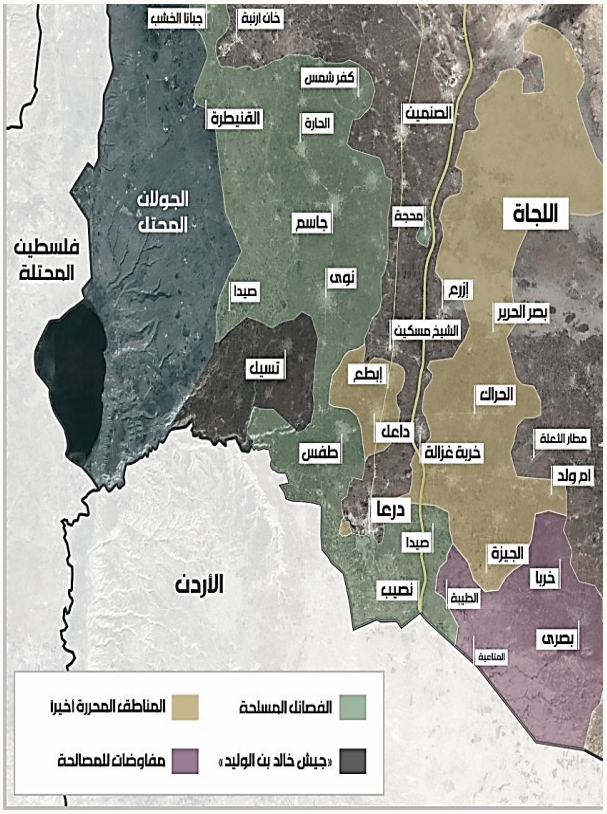

٦ -تغير الواقع العسكري بعد التدخل الروسي

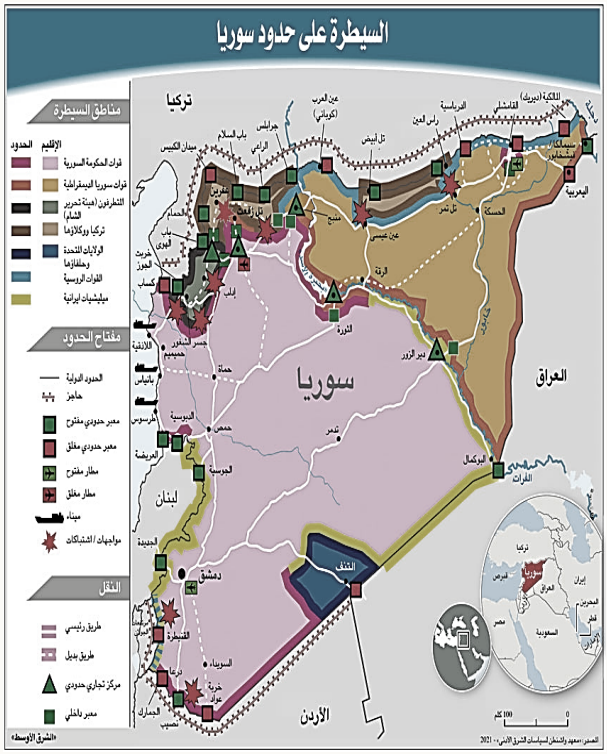

٧-الواقع الميداني حاليًا

المصادر والمراجع:

- A View from Damascus: Internal Refugees from Golan's 244 Destroyed Syrian Villages, by JoMarie Fecci, June 2000. (n.d.). Retrieved January 24, 2022, from http://web.archive.org/web/20011112045101/www.washington-report.org/backissues/062000/0006010.html
- Aloudat, B. (2021, January 17). طرد السوريين من الجولان (٣): "قصة الدروز" من وجهة النظر الإسرائيلية (٣). https://www.harmoon.org/reports/%D8%B7%D8%B1%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%86-%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D9%88%D8%B2-%D9%85%D9%86/
- Armistice of Mudros | Turkish history [1918] | Britannica. (n.d.). Retrieved March 15, 2022, from https://www.britannica.com/event/Armistice-of-Mudros
- Baron Edmond de Rothschild | French banker. (n.d.). Encyclopedia Britannica. Retrieved October 15, 2021, from https://www.britannica.com/biography/Baron-Edmond-de-Rothschild
- Collelo, T., & Library of Congress. Federal Research Division. (1988). Syria: A Country Study. Library of Congress Cataloging in Publication Data.
- Cutlack, F. M. (2018). The Australian Flying Corps in the Western and Eastern Theatres of War, 1914-1918. Creative Media Partners, LLC. https://books.google.com.lb/books?id=8EA7zgEACAAJ
- Golan Heights Law. (n.d.). Retrieved February 25, 2022, from https://www.mfa.gov.il/mfa/foreignpolicy/peace/guide/pages/golan%20heights%20law.aspx
- Golan Heights: Trump signs order recognising occupied area as Israeli. (2019, March 25). BBC News. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-47697717
- Khawaja, M. (2002). Internal migration in Syria: Findings from a national survey. Fafo, Institute for Applied Social Science. http://worldcat.org
- Quneitra Governorate Assessment Report_FINAL.pdf. (n.d.).
- Refugees, U. N. H. C. for. (n.d.). Refworld | U.S. Committee for Refugees World Refugee Survey 2002—Syria. Refworld. Retrieved November 15, 2021, from https://www.refworld.org/docid/3d04c1522c.html
- S/1353 of 20 July 1949. (2011, July 26). https://web.archive.org/web/20110726121056/http://unispal.un.org/UNISPAL.NSF/0/E845CA0B92BE4E3485256442007901CC
- Schumacher, G. (2010). The Jaulân: Surveyed for the German Society for the Exploration of the Holy Land. Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CBO9780511706011
- Shamel, A. (n.d.). Uprising of the Marginalised. 28.
- Sicker, M. (1999). Reshaping Palestine: From Muhammad Ali to the British Mandate, 1831-1922. Westport, Conn: Praeger.
- Syria army seizes Jdaidet al-Fadl "killing dozens." (2013, April 22). BBC News. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-22240540
- Syria operational update. (n.d.). Global Focus. Retrieved February 19, 2022, from http://reporting.unhcr.org/document/1713
- Syria unrest: Second day of fierce Damascus clashes. (2012, July 16). BBC News. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-18859453
- Syrian rebels seize U.N. peacekeepers near Golan Heights. (2013, March 6). Reuters. https://www.reuters.com/article/us-syria-crisis-idUSBRE92516Q20130306

- The Circassians of Syria: Opting for the Rightful Cause. (n.d.). Retrieved October 22, 2021, from http://circasvoices.blogspot.com/2012/07/the-circassians-of-syria-opting-for.html
- The Geographer Office. (1969). International Boundary Study No. 94 – December 30, 1969 Jordan – Syria Boundary.
- U.N. chief clear that Golan status has not changed: Spokesman. (2019, March 25). Reuters. https://www.reuters.com/article/us-usa-israel-un-idUSKCN1R623E
- ʿAlawite | Shīʿite sect | Britannica. (n.d.). Retrieved November 14, 2021, from https://www.britannica.com/topic/Alawite
- أعضاء المؤتمر السوري العام ١٩١٩ .(1920, March 8) .التاريخ السوري المعاصر/https://syrmh.com/1920/03/08 .أسماء-أعضاء-المؤتمر-السوري-العام-١٩٢٠/
- الجولان – المجلس التركماني السوري .(n.d.). Retrieved November 8, 2021, from https://www.meclisturkmen.org/ar/category/%d8%a7%d9%84%d9%82%d8%b1%d9%89/%d8%a7%d9%84%d8%ac%d9%88%d9%84%d8%a7%d9%86/
- الحكيم، ي. (٢٠١٩). سورية والانتداب الفرنسي . http://archive.org/details/sorya.w.al.intidab
- بالصور: ٢٠٢١ من أصعب السنوات التي مرت على سوريا | World Food Programme. (n.d.). Retrieved February 22, 2022, from https://ar.wfp.org/stories/2021-photos-people-heart-one-syrias-toughest-years
- تركمان الجولان في مخيم دير البلوط يطالبون بالدخول إلى تركيا— روزنة. (n.d.). Retrieved November 8, 2021, from https://www.rozana.fm/ar/news/2019/06/23/%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%AE%D9%8A%D9%85-%D8%AF%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D9%88%D8%B7-%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D9%86-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%AE%D9%88%D9%84-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7%E2%80%8E
- تملك الأجانب للعقارات في الدولة العثمانية: أنموذج بلاد الشام . (2020, June 5).مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي . http://https%3A%2F%2Fal-furqan.com%2Far%2F%25d8%25aa%25d9%2585%25d9%2584%25d9%2583-%25d8%25a7%25d9%2584%25d8%25a3%25d8%25ac%25d8%25a7%25d9%2586%25d8%25a8-%25d9%2584%25d9%2584%25d8%25b9%25d9%2582%25d8%25a7%25d8%25b1%25d8%25a7%25d8%25aa-%25d9%2581%25d9%258a-%25d8%25a7%25d9%2584%25d8%25af%25d9%2588%25d9%2584%25d8%25a9-%25d8%25a7%25d9%2584%25d8%25b9%25d8%25ab%25d9%2585%2F
- عبد الكريم، أ. ع. (١٩٥١). التقسيم الاداري لسورية في العهد العثماني: الباشويات العثمانية والعصبيات الإقطاعية. حوليات كلية الآداب, ١, ١٢٧–١٨٤.
- عبيدات، م. (١٩٩٧). أحمد مريود ١٨٨٦—١٩٢٦ قائد ثورة الجولان وجنوب لبنان وشرق الأردن.Riad El-Rayyes Books Ltd .
- فلّاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم . (2014). https://le-calligraphe.com
- مؤشرات التنمية العالمية | بنك البيانات .(n.d.). Retrieved February 14, 2022, from https://databank.albankaldawli.org/reports.aspx?source=2&country=SYR
- محمد، ع. ع. ا. (١٩٦٩). الادارة العثمانية في ولاية سورية، ١٨٦٤-١٩١٤. دار المعارف،
- موقع وزارة الخارجية والمغتربين- الجمهورية العربية السورية .(n.d.) . Retrieved October 21, 2021, from http://mofaex.gov.sy/ar/pages535/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%AA%D9%84